الأستاذة: بوشلاغم حنان

المحاضرة السابعة: مقاربة إبن خلدون للحراك الاجتماعي والمهني

أولا: نبذة تاريخية عن حياة إبن خلدون

هو عبد الرحمن أبو زيد ولي الدين بن خلدون الحضرمي، ولد في تونس 732 هـ، اشتغل بالوظائف العامة والسياسية فكان كاتباً وأستاذا وقاضياً للقضاة وحاجباً ورئيسا للوزراء، تواجد في دواوين الكثير من الملوك والأمراء في تونس والمغرب والأندلس ومصر والشام، كان قاضي القضاة المالكية في مصر، وتوفي بمصر سنة 808 هـ.

يعد ابن خلدون أول مؤسس لعلم جديد هو علم العمران أو الاجتماع الإنساني، المؤسس الأول لعلم الاجتماع وقد سبق أوجست كونت الذي يعده الغرب أول مؤسس لعلم الاجتماع في الغرب وذلك بحوالي 5 قرون، له كتاب بعنوان: "المبتدأ والخبر في العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر".[1]

ثانيا: المسلمة الأساسية التي إنطلق منها ابن خلدون

هذا ويعد من أهم المفكرين الذين درسوا الحراك الاجتماعي وانطلاق من مسلمة أساسية مفادها أن الاجتماعي الانساني ضروري ويعبر على ذلك بقوله أن الإنسان مدي بطبعه، ويرى أن من أهم الخصائص التي تميز الاجتماع الإنساني ما يلي:

-المجتمعات لا تتجمد إلى حال من الأحوال بل تختلف أوضاعها باختلاف الأمم والشعوب وباختلاف الزمان أيضا داخل المجتمع الواحد.

- أحوال الأمم وعوائدها لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر إنما هي اختلاف على مر الأيام والأزمنة وانتقال من حال إلى حال.[2]

ثالثا: الحراك الاجتماعي عند ابن خلدون

اعتمد إبن خلدون على علاقة جدلية بين البدو والحضر والتي تقوم عليها نظرية العمران بأسرها وهي التي جعلته يفكر مليا في كيفية اكتساب الأشخاص أو الطوائف للثروة والمال والجاه التي تعتبر مؤشرات هامة للحراك المهني والاجتماعي بالخصوص، فحراك الأجيال لا يتم إلا طبقا لنمط حياتهم ومعيشتهم، ويؤسس ابن خلدون

---

[1] عبد المحسن بن أحمد العصيمي، مختصر مقدمة ابن خلدون، ط2، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الرياض، 2013، ص 10.

[2] عبد العزيز رأس مال، مرجع سبق ذكره، ص 19.

هذا الاختلاف على المناطق الجغرافية وما تتحلى به الأرض من جذب وخصوبة، وبهذا تختلف حياة الناس وكسبهم ،وهنا يبدأ الاختلاف بين البدو والحضر الذي يفسره طبع زاد عن القوت، فالكمال يشكل حراكا قويا بالنسبة للأشخاص الذين تعودوا على الضروري من العيش والانتقال من البداوة إلى الحضارة ، إن هذا الانتقال الفجائي والانقلاب اللاتدريجي في حياة هؤلاء من شغف العيش إلى قمة التمدن والحضارة ويبرز التناقض بين حياة هؤلاء في البدو وحياتهم في حالة الحضارة والنتائج المترتبة عن التناقض ويقول:" **أن النسيان المقصود للبداوة مع وجودهم ينبع من حضارة أوربا الصناعية التي فرضت هذه الازدواجية الجديدة**" إذن حسب تصور ابن خلدون يحتاج البدو إلى المدن نظرا لتطوير تقسيم العمل فيها وكرثة المهن واختلافها، أهمية الثروة تبدو في علاقتها بالملك والدولة فهو يشير إلى السمة الرئيسية في الحراك الاجتماعي والمهني، بقوله:" إن ثروة السلطان وحاشيته إنما تكون هي وسط الدولة وهذه الثروة تتجه اتجاها انحنائي مما يصيب الدولة بالاضمحلال فإن الثروة تقل لكثرة توزيعها على الموالين والأنصار لبروز الثورات والانتفاضات نتيجة لعدم المساواة في الحظوظ الاجتماعية وللظلم والقهر".[1]

رابعا: أشكال الحراك الاجتماعي والمهني عند ابن خلدون

1-**الثبات الاجتماعي**: كان ابن خلدون حذرا في تعميم مقولة الحراك الاجتماعي والمهني على كل الفئات الاجتماعية بل رأى النقيض تماما لبعض الفئات، أي أنه طرح مقولة الثبات الاجتماعي فهو يؤكد أن القائم بأمور الدين تعظم ثروتهم في الغالب وذلك للاحتياج المؤقت لبضاعتهم الفكرية وكذا لأنهم لا يخضعون لمؤشر الجاه الذي ذكر في السابق كعامل من عوامل الحراك.

2-**الحراك التنازلي**: يذهب عبد الرحمان ابن خلدون في مقاربته إلى أن المجتمع الإنساني شبيه بالكائن البشري، يمر بمجموعة من المراحل منذ والدته وصولا إلى وفاته واعتبر الدول كالأشخاص لها أعمار، وعمر الدولة في العادة ثالثة أجيال والجيل أربعون سنة وعمر الدول حسابيا مائة وعشرون سنة وخلال هذه الأجيال يمر المجتمع بمراحل التالية:

- **مرحلة النشأة والتكوين**: وتتميز بالبداوة ويقتصر فيها الأفراد على الضروري من أحوالهم المعيشية وتتميز هذه المرحلة بخشونة الحياة وتوحش الأفراد وبسالتهم كما تتميز بسيطرة العصبية على العلاقات الاجتماعية .

[1] عبد العزيز رأس مال، مرجع سبق ذكره، ص ص 19، 20.

- **مرحلة النضج والاكتمال**: وهي مرحلة الملك وخلالها يتحول المجتمع من البداوة إلى الحضارة ومن العوز إلى الثراء والخصب، ومن الاشتراك في المجد والقوة إلى التفرد وفيها تنتقل السلطة إلى يد شخص أو عصبة أو عائلة أو أمة واحدة بعد أن كانت مشتركة وعامة وشائعة .

-**مرحلة الشيخوخة والهرم**: وتتميز بالترف وقمة التحضر وفيها يتجاوز الأفراد البداوة والخشونة نهائيا وتزول العصبية ويبلغ الترف قمته وينسى الأفراد الحماية والمجابهة ويؤدي الفرط في البذخ إلى زوال الدولة تسبقه حالة من الضعف والاستكانة.[1]

ويظهر الحراك التنازلي هرمية الدولة (شيخوخة الدولة) وأشار إلى بعض المؤثرات الاقتصادية التي بشكل أو بأخر تؤدي إلى تقهقر بعض الفئات من الرخص في الأسعار، الذي يؤثر على فئات اجتماعية معينة بل يسبب حراكا تنازليا لها فهو يؤثر على التجار فساد سلعهم وفساد رؤوس أموالهم، وكذلك يؤثر على الفلاحين ببوار أنواع الزرع من فلاحة وزراعة وذلك لقلة الأرباح فيها فلا تزداد رؤوس أموالهم، بل ينفقون عليها، ويؤثر ذلك أيضا على الجنود لأن أرزاقهم تأتي من الدولة وحين ترخص أسعار الزرع تقل الجباية منه لفساد الحالة الاجتماعية للمحترفين به.

3- **الحراك التصاعدي**: تناول ابن خلدون الحراك التصاعدي في العلاقة بين البدو والحضر، وهذا ما يدل على أن هناك علاقة الحراك والهجرة الداخلية أي العلاقة بين صعود فئات ونزولها في السلم الاجتماعي، وتلك الهجرة التي تحدث بين الريف والمدن. هذا ولاحظ ابن خلدون عند الانتقال من البدو إلى الحضر أن كماليات العيش تشكل حراكا قويا بالنسبة للأشخاص الذين تعودوا على الضروريات وهو الانتقال من البداوة إلى الحضارة، حيث تنتقل حياة هؤلاء من بؤس العيش إلى قمة التمدن مما يخلق تناقض في نمط حياتهم.[2]

هذا ومن شروط الحراك الاجتماعي عنده هو "عامل الثروة" وهي ثرة السلطان التي أصلها الجبايات والضرائب المأخوذة من البدو هذا ولا يعتبر الثروة إلا إذا كانت تأتي بالعمل والجهد الشخصي وإلا لن يطلق على ذلك مصطلح الحراك، هذا ولا يتم الحراك إلا طبقا لنمط حياة الأفراد ومعيشتهم وبؤس هذا الاختلاف على المناطق

---

[1] محمد الهادي عفيفي، التربية والتغير الاجتماعي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط2، مصر، 1975، ص 71.

[2] رأس مال عبد العزيز، مرجع سبق ذكره، ص ص 23 24.

الجغرافية، إذ تتأثر معيشة الأفراد حسب طبيعة الأرض فتختلف طرائق حياتهم وكسبه، فالحراك الاجتماعي حسب ابن خلدون يعود إلى طبيعة كل من الحضر والبدو وليس على أساس الصراع.

ختاما يمكن القول بأن مقاربة ابن خلدون في الحراك الاجتماعي تقوم على مقولة الانسان مدني بطبعه، وتفسيره للحراك قائم على جدلية البدو والحضر، ومؤشر الثروة هو شرط أساسي لحدوث الحراك وهذا المؤشر لم يناوله حتى المنظرون المختصون في الحراك السوسيو-مهني.